

السلام و الصحة النفسي

وصلتني قبل بضعة اشهر دعوة كريمة من جمعية الأطباء النفسانيين السودانية للمشاركة في المؤتمر العلمي الاول المنعقد في الخرطوم في الفترة 4-6 شهر مارس 2005 تحت شعار (السلام و الصحة النفسية) وقد حدد يوم الحادى و الثلاثين من ديسمبر 2004 آخر موعد لإستلام موضوعات المشاركين فى هذا المؤتمر وكان المؤتمر كان على موعد مع التاريخ فى المكان و الزمان ..فالخرطوم كانت على موعد مع مهرجان عاصمة الثقافة العربية و السودان كان على موعد مع ميلاد السلام والحادى و الثلاثين من ديسمبر كان ليلة آخر المخاض المتعسر فى ولادة السلام والفجر كان بداية العام الجديد وصباح الاحتفال بالاستقلال المجيد ورب صدفة خير من ميعاد ولكن يستحيل ان تجتمع أكثر من صدفة فى ميعاد واحد ولكن للملاقة أوقات ولا يصح الا الصحيح.

حدث كل هذا فى ليلة واحدة ولكل أجل كتاب... ولكنه كان نهاية حتمية ونتاجا طبيعيا لسنوات حبلى بالمعاناة على كل الاصعدة السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية فلا بد لليل ان ينجلي و لا بد للقيد ان ينكسر... الليل الذى صنعناه من غمضة عيوننا عن رؤية نور الحقيقة و القيد الذى وضعناه على ايدينا من وهم الصراع.

و عودا على بدء بعثت برسالة شخصية الى الدكتور عبد الرحمن عبد الله أستاذ الطب النفسى بجامعة الخرطوم و رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر أشكره على الدعوة الكريمة مؤكدا رغبتى فى المشاركة و اعدا آياه بارسال المساهمة فى وقت لاحق و لا يفوتنى ان أهنئهم على الفكرة وأثنى على استشرافهم للمستقبل برؤية علمية متميزة ونظرة سيكولوجية عميقة ترى البعد الثالث للواقع النفسى للبلاد بعد توقيع اتفاقية السلام وضرورة ان يتغلغل الطبيب النفسى وكل العاملين فى حقل الصحة النفسية فى أعماق النفس البشرية فى كل الأوساط الاجتماعية يبشرون بالسلام ويدعون اليه ويحررون الناس من حالات التوجس ونوبات القلق ومشاعر الريبة التى كانت تظلل سماء البلاد وتحجب الرؤية العلمية لأفاق المستقبل البعيد وديناميكية أبعاد الصراعات الحقيقية و المفتعلة..المتجذرة فى اعماق الارض اوالمزروعة تحت مظلة المحميات النباتية المستوردة من الجوار او من وراء البحار... أليس كل هذا من صنع الآخرين وغفلة المتشددىين فى التعامل مع القضية ؟

و عودا على بدء ... و فى ظل متابعتى لمسار المناقسات و منعطفات التفاوض فى مراحلته المختلفة و مظلاته المتعددة وخطواته المترددة وىدى على قلبى فى كل شوط وبعد كل جولة وعلى غير موعد اشرق الصبح على ميلاد بروتوكولات اتفاق نيفاشا فى كينيا فى عام 2003.

وحتى لا تموت فى قلبى فرحة الإتفاق وقبل ان يجرفنى تيار الشك الذى يندفع من أقلام المتربصين بادرت الى تسجيل الحدث فى ذات اللحظة و كتبت قصيدة(بشائر أمة) فى يناير 2004 ونشرتها فى صحيفة (ألوان) وفى الموقع اللاكترونى السودانى الشهير (سودانيز أون لاين) فى نفس الوقت وقدمت لها بالقول: قصيدة... من أجل السلام تزف البشرى فى عيد الاستقلال المجيد وعيد الأضحى المبارك الى كل أبناء و بنات الشعب السودانى والذى اكتوى بنار الحرب الأهلية نصف قرن ..وكفى...و أنقل بضع ابيات منها:

أهدى الى (الخرطوم) منى سلاما
واقول: يا ارض السلام سلاما
و أغنى للسلم الذى عشنا له
حلما يراوح صحوة و مناما
دعنى اسطر للسلام قصيدة
او لوحة تستصرخ الرساما
دعنى أسميها(بشائـــــر أمة)
تهوى السلام بداية وختاما

و فى النص شرح للحلم ودعوة للإتفاق و يشاء الله ان ياتى يناير 2005 و قد تحقق الحلم وصدقتم النبوة وتم الإتفاق و اصبح هذا قدر الخيريين من ابناء هذا الوطن المتقل بجراحات الماضى ان يتفياً ظلال دوحة السلام الوارفة ليضمده جراحه النازفة طوال نصف قرن من الزمان.

و لعل الهاجس الذى ظل يؤرقنى و يدفعنى الى الإشفاق من خطر الإنشقاق فى بدء الإتفاق نكهة الردود المتحفظة وارتفاع النبض المتوجس فى شرايين بعض الأقاليم فى موقع (سودانيز اون لاين) و هو يعبر عن شريحة هامة داخل و خارج الوطن يؤرقها هم السلام وحتى لا يكبر هذا الهم و يصبح كابوساً رأيت لزاماً علينا ان ننشر ثقافة السلام وان نعيد للسودان المجد الضائع فى أتون الحرب الأهلية، المجد الذى عاصرناه. والزمنا الذى عشناه حين كان السودان الرقم الذى لا يمكن القفز عليه فى المعادلات السياسية للقارة الافريقية و نذكر على سبيل المثال لا الحصر (لاءآت الخرطوم) و التى شكلت السياسة الدولية لفترة طويلة.

وقد سبق ان كتبت فى ديوان (مرايا مهشمة) 2000/8/9 فى قصيدة (حوار حول المصالحة الوطنية) جاء فى بعض من ابياتها:

نفاخر بالسودان فى كل منبر
يمثل جمعا و لو كان مفردا
وقد كان فى الستين اقوى دولة
فى قلب افريقيا زعيما و قائدا
تسانده مصر الصديقة وحده
اذا قال قولاردد العالم الصدى
له قوة التأثير فى كل محفل
وفى كل طاولة اذا احتل مقعدا
و كان قوى النبض فى قلب قارة
يحركها قولاً و فعلاً ومشهدا
بقوة شعب قد طوى اطماعه
على حب وطن بات وعدا و موعدا
ينام على جمر الخلاف مفارقا
ويصحو على جمر الوفاق مرددا
خلاف على كل الامور ضلالة
ولكن فى شان البلاد على هدى

و الحق أقول لكم: ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله الى سواء السبيل فى الممكن و المستحيل
و عودا الى بدء ..ارسلت موضوع ورقتى العلمية للمشاركة فى مؤتمر (السلام و الصحة النفسية)
فى مارس القادم بعنوان (الشعر و ثقافة السلام).

و لنا عودة باذن الله

دكتور الزين عباس عماره ... أبوظبى